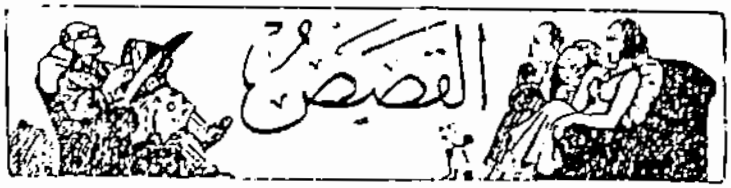

هندي من الحمر

عن فرنز مبلر

للأستاذ كارنيك جورج ميناسيان

قال التلميذ عن نفسه وهو ينحني : روبرت سنو

لكنني كنت أعرفه من قبل ، فهو أكبرنا سنا ، وإن كنا أقدم منه عهداً في الدراسة . إنه يمتاز بلون برنزي ، وعينين فاترتين تبرقان في الظلمة

لم نلبث أن تعارفنا . وأخذنا نتبادل التحايا والبسمات الصامتة ، ثم جاء يسأل عن حجرة يسكن فيها ، فأخبرته بوجود حجرة خالية إلى جانب الحجرة التي أقيم فيها ، فوافقه ذلك . . أصبح جاري ، فصار يزورني مساء ، فأقدم إليه قدحاً من الشاي الساخن ... حتى أوشك تحفظه أن يزول بتوطد الصلة بيننا ، وسألته مرة :

— أتدري أني أغبطك ! ..

قال باسماً : — علام ؟

— على لون طلعتك .. هذا الغريب الجذاب ، الذي يذكرني بلون الهنود الحمر

— لا غرابة في ذلك ، فأنا هندي من الحمر !

وطفق يحدثني بأخباره الخاصة .. كان يحيا بين الغاب والبحيرات ، فيجد في الغاب حيواناً يأنس إليه ، كما يجد في البحيرات ماء يسبح فيه ويشرب منه .. فسألته :

— وما الذي دعاك إلى ترك عالمك الجميل واستبداله بعالم الدراسة

فأجابني بقوله : — قال أحد العرافين لأبي أني ذكي فطن ، لا يجب تركي عابثاً عند بحيرة (هرنين)

— وبعد ؟

— وبعد تركت عالمي وجئت إليكم

فصمت ، ولم ألبث أن سألته بكثير من الكياسة والتردد :

— ترى أرضيت عن ثقافتنا يا صاحبي ؟

قال : — خلت نفسي ثملا .. وأنا أرى الشوارع والدور ... وآلاف الأعاجيب الأخرى .. فكنت أمر مذهولا شارداً ، أتحسس ما أرى وما أشاهد كي أنا كد أنني لست أحلم !

إن أمواج بحيرة هرنين لم تكن لتريني كل هذه الأعاجيب !

إن العجيبة الأولى التي أذهلتني هي السفينة العظيمة التي حملتني ، وعبرت بي المحيط !

لقد خلت نفسي وأنا أراها تسير بسرعة وثبات على سطح البحر الزاخر .. أني أمام عمل من أعمال الآلهة . وقد ركبت حينئذ وصليت من شدة رهبتي !

ثم صمت ، وأنشأ يحرك اللعقة في كوب الشاي ، فتحدث حركته رنيناً حزيناً ، عاد بعد انقطاعه يتمم حديثه فيقول .

— لم تكن حياتي الماضية تشمل غير الواضح المألوف . لكنني كنت أعجب وأنا أقصد البحيرة أن أجد في طريقي ريشة طير ذات ألوان جذابة مفرحة . كانت تبدو لي كأنها تخصني بتحية الصباح ، لقد كنت أتناولها فرحاً وأداعبها مسروراً .. فأمسحها بجبيني تارة وبوجهي أخرى ، وإذا ما هبت الريح كنت أرفعها وأرميها عالياً مع مسرى الريح .

— يا لها من لذة !

— .. كانت أموركم ألذ بكثير

والرواية التي ذكرها الخوارزمي تدل على أن عمران بن حطان كان شيعيا وقد يكون بأبياته قد عارض الخارجي في مدحه قاتل على كرم الله وجهه ؟ وكيف يلمن نفسه كما ذكر الأستاذ نجيب؟

فما رأي الأستاذ نجيب في هاتين الروايتين وأيهما أحق بالتصديق

شطانوف

محمد منصور فهمي

— ولماذا تقول كانت ، أو ليست كذلك الآن ؟

— أبداً .. إن التحليل والتشريح والتبسيط حطمتها ، وذهبت بروعتها وسحرها ...

— لا أفهم ما تقول

لم يجبني ، بل نهض وفارقني بعد تحية سريعة

بقيت تلك الليلة أفكر في قول صاحبي ... حتى طار النوم من عيني !

وفي الغد كنت أجلس بجانبه في المختبر ، وأمامنا بطاريات الزجاج مصفرة على المنضدة ، في حين كان مصباح بونش يشع نوراً أزرق ، توشك العين ألا تراه ! وما كان أستاذنا قد حضر بعد ، فقال لي رفيقي :

— ألم تلاحظ وجه السبورة السوداء تلك ؟

— لاحظتها كثيراً ، فقد كتبت عليها مئات المعادلات

— لم تفهم قولي ، قلت لك وجهها ..

فحولت نظري إلى اللوحة ، فلاحظت أن الأبخرة المتصاعدة من الأحماض قد تركت على سطحها أشكالا وخطوطاً غريبة ، لو نظرها شخص بانتباه ، لبدت له من تعاريج الخطوط رسم وجه لإنسان عبوس ! فقلت لصاحبي :

— حقا إنه يبدو كوجه إنسان

— أتعلم وجه من هو ؟..

قلت ساخراً :— إنه ... وليد الاتفاق والمصادفة !

فقال مقاطعا — هذا هو وجه العلم ! قد صورته مبتكرات العلم ، فإذا هو وجه عنيد متجهم ، لا تنبئ أساريره بأي معنى من معاني الرحمة !

وهنا دخل الأستاذ ، فانقطع كلامنا ، لكني بقيت حائرا أستعيد رأي صاحبي ولا أدري ! أصدقه أم أكذبه « وجه العلم العنيد المتجهم » ؟ فأمضي بنظري إلى اللوحة ، تاركا الأستاذ يشرح ويعلل ، لأرى وجها عنيدا متجهما حقا !

لا ريب أن التبسيط يحطم اللذة والروعة ، فلو بسطنا أسباب ظهور الوجه على سطح اللوحة فإننا لن نشعر بعد ذلك ، بمثل ما يشعر هذا الهندي نحو ذلك الوجه الغريب !

.. وفي طريق عودتنا إلى غرفتينا قلت لصاحبي :—

— إني قادر على فهمك بعد الآن

قال — هيهات . فأنت قد ولدت هنا في عالم العلوم ، لا في عالم الطبيعة . إنك لم تتمدد على العشب الأخضر ، ولم تتفهم أسرار الحقول ، فلا يمكنك أن تبثها أحزانك أو تشرح لها آلامك كما أفعل أنا ! هذه لوحاتكم ، ما رأيتم فيها غير المعادلات والحاسبات .. والأحرف الكثيرة الجامدة ! حين ثمة لوحات لنا عند بحيرة هرنين ترينا الطبيعة وكيف تحنو ، والأيدي وكيف تتساند ! حتى أنها ترينا الآلهة وهي ترتفع وتسمو عن ...

وصمت فجأة ! وكأنه استدرك ورأى أنه يقول ما لا ينبغي ، فودعني ومضى عن طريقي .. لقد قدرت ألمه ولم أحنق عليه ، وما كان المساء حتى طرق بابي وقال :

— لقد كنت قاسيا معك

فكان جوابي أن قدمت إليه كوب الشاي

وحين رفع الكوب إلى فمه ، أخذ يبعث إلي بأنظاره من فوق حافة الكوب ، فبدت لي عيناه عندئذ غائرتين أكثر من قبل ! ثم واجهني وقال :

— كان الأجدر بي أن أتصف باسمي فأكون باردا كالثلج .. على الأقل معك أنت

فلم أجب ، فاستمر يقول :

— إن الهدوء والرزانة من صفاتي .. لكن التبسيط الذي يذهب بروعة الأشياء !

فسألته قائلا : لماذا تطلب العلم إذن ؟

— كان اليأس قد أحسن إلي كثيرا ، فحين زودني بالمال وحثني على طلب العلم لم أستطع الرفض

— ولماذا تخصصت في العلوم ؟

— أخبروني هنا أني أهل للعلوم ! إنهم يريدون أن يجردوني من الخيال ، من خيالي اللذيذ ! لأفني في المعادلات العقيمة ، لكني لن أفعل هذا .. لن أفعل !

فصمت قليلا في حين كانت عيناه تبرقان ثم عاد يقول :

إن أهل العلوم قد أفسدوا علي أحلامي وخيالي ، قالوا لي إن هذا من هنا ، وإن الماء هو الجمع بين ذرة من أكسجين مع ذرة

من هيدروجين ! وإن ورد الزيبق مؤلف من هيدرات الكاربوليك والنيتروجين ! وإن ماكنة السفينة بسيطة ، فالمحرك لا يدور بقدرة الإله كما كنت أعتقد ، بل بقدرة .. البخار ! لقد عقلوا الى الأشياء ، وبسطوها وشرحوها ، حتى بدت لى عادية بسيطة تافهة لا روعة فيها أبدا

قلت له : إننا لا نؤمن بوجود الإله فى محرك السفينة ، لكننا نؤمن بوجوده فى محل آخر

— تعنى الكنيسة ؟ دخلتها مرة فشعرت بنفور أعمق من نفورى من المعادلات

— ما قولك إذن فى شعرائنا ؟

— أولئك شعراء ؟ إنهم لا يؤمنون بالله فى حين يدعون أبدا أنهم يؤمنون ! انى لا حظتهم وهم منفردون بأنفسهم يرتلون الشعر ، فرأيت السخرية تبدو فى وجوههم واضحة كلما جاء ذكر الإله !

وقلت وقد أزعجنى كلامه — ألست معى فى أن للعالم اسما مهيبا محترما ؟

— أنا معك فى أن له اسما مهيبا محترما .. فقط ! لكنه هو نفسه خال من الصفتين ! أنكم تقولون عن العلم أنه سام كالآلهة وأن له أغواراً عميقة ليس لها قرار ! ثم أراكم تنزعون ثوب تلك الآلهة ، المعبودة ، وتتركونها عارية ، ثم تجهزون عليها وتجردونها حتى من الخجل

— الخجل ، ما معنى الخجل ياسيدى ؟

— ألم تسمع قول أساتذنا فى الكيمياء ؟ لقد قال ان ما تدعوها (بالحياة) مؤلفة من كذا أحماضا وكذا قلويات .. إلى آخر هذه الأشياء التى نسيتها

فوجدت صاحبى يمضى إلى مذاهب متشعبة ، وأن لا فائدة من مماندته ولا من تشجيعه على ما هو فيه ، فقلت له :

— إذا نلت الدكتوراه فستغدو حرا ، ولك ألا تنتبه إلى المحاضر ولا إلى المعادلات ، ولك ألا تهتم إلا بمالك الذى تحن إليه

* * *

كل من نال الدكتوراه كان قد أجهده الاستذكار .. إلا الهندى سنو ! فهو لم يراجع ولم يذاكر ، فنال أجازة الدكتوراه من غير تعب أو ارهاق . وبدا لى أنه لم يعلق على الدكتوراه أملا مثل الآمال ! إذ أن كثيرا ما رأيته وهو يسرح بأنظاره عبر الفضاء باحثا عن أحلام أخرى . غامضة ، ما كنت أفهمها ، ولعله هو نفسه أيضا ما كان يفهمها ، وبدا لى كأن وجهه قد تحجر وتجهم وأنه صار شبيها بوجه العلم المرسوم ، على اللوحة السوداء

احتفلنا بعد الامتحان ، حيث خطب فينا العميد فى قاعة الكيمياء ، فلاحظت صديق الهندى جالساً أمامى ، وهو منصرف إلى تأمل ذبابة تتطاير عند النافذة ! ولما قال العميد « علينا أن ندعو جيلنا بجيل العلم » ترك سنو ذبابته فتوجه إلى المحاضر فاستمر هذا يقول « ولكننا لسنا فى المرحلة الأخيرة من مراحل العلم ، فثمة معضلات أخرى كثيرة يجب أن نحاربها بالعلم » . فلاحظت سنو يزداد انتباهاً . قال المحاضر « فنحن لن نرتاح حتى يسود العلم الأرض كلها ، حتى نحطم العقائد البالية ، حتى . . » وقاطعه صوت عنيف « وماذا أبقيت للشيطان » ؟ ووقف الصارخ فإذا هو سنو ! فجعل يصرخ صراخاً كالعويل .. لاريب أن أهالى قريته يتسلحون به ضد الشياطين ! ثم وثب على محبرة حامرة بالقرب منه ، فألقاها على المحاضر .. ! فتجنبها هذا .. ونزل من المنصة ، فارتطمت المحبرة باللوحة السوداء ، فتكسر زجاجها وسال مدادها على تماريح وجه العلم ، فتكالب على سنو من حوله ، لكنه قاوم حتى نجح فى أن يقذف بمحبرة أخرى فى وجه . . العالم ! فملأ الصخب والصراخ ، حتى حملوا سنو إلى الخارج حملا .. ومضى عام !

وإذا أنا أستلم رسالة من كندا ، كانت من سنو الهندى ، وكانت فيها هذه الكلمات :

« .. بينما كنت أتوجه ذات صباح إلى محبرة هرقين ، مثلما كنت أفعل قبل مغادرة وطنى ، وجدت أيضاً ريشة طائر ، من النوع الذى كنت أجده دائما كما ذكرت لك ، فتناولتها لأرى من من الآلهة قد بعثها لى .. ولأداعبها وألاعبها كما كنت أفعل ! وإذا أنا أمام ريشة بسيطة عادية لطائر معروف ، لا نولد فى أية لحظة . إنما هى ريشة تتألف من كالسيوم وكوبلت ٣ » !

فريد جورج ميناسيان

الجزء الثالث من

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

والقصص

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات

ليكن في علم الجمهور بأن جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف الحالي وزعت على المحطات للعمل بها ابتداءاً من أول مايو سنة ١٩٥٢ وقد راعت المصلحة عند إعدادها تحقيق رغبات الجمهور كما يتبين من التحسينات البينة بها كما أن قطارات الديزل الجديدة ستسير من أول مايو سنة ١٩٥٢ بين خط مصر — الإسكندرية . وخط مصر — الشلال

وتطلب هذه الجداول من شبابيك تذاكر المحطات وكذا من الباعة المرخص لهم ببيعها مقابل عشرون مليما للنسخة الواحدة

المدير العام

سيد عبد الواحد

مطبعة الرسالة